الا ان ضغوط العوامل المتراكمة كلها انتهت الى الدعوة لاعلان الاضراب العام، وذلك في نيسان (ابريل) ١٩٣٦، ابتدأ به عمال السكة الحديد، ثم انتظمت فيه بقية القطاعات المهنية تباعا. ووقعت القطيعة الكاملة مع السلطات، ونشطت العمليات المسلحة. وهكذا، قامت الثورة المسلحة كاول ثورة شاملة في تاريخ فلسطين الحديث.

وبادرت قيادة الحركة الوطنية لتنظيم صفوفها حتى تصير قيادة للثورة. فتشكلت بمشاركة الاحـزاب كافة عدا الشيوعي، اللجنة العربية العليا لفلسطين، وانتدب الضابط السوري فوز الدين القاوقجي «قائدا لقوات الثورة المسلحة في سوريا الجنوبية»، كما سمى نفسه في البلاغات التي كان يصدرها. واتجهت المقاومة نحو عدوين اثنين، الصهيونية وقوات الاحتلال البريطاني. وكان هذا الامر يحدث لاول مرة بغير التباس.

وصدر بيان الثورة الاول في آب (اغسطس) ١٩٣٦، حاملاً الدعوة «الى السلاح، ايذانا بسقوط الحكم الاجنبي في فلسطين لمنافاته حقوق الشعب المشروعة، وقيام حكومة ثورية تستمد وجودها من ارادة الامة». كما ان البيان الاول هذا دعا «الى ان تنسحب الجيوش البريطانية، وتمنع الهجرة اليهودية منعا باتا وتجلى الجماعات التي هبطت فلسطين على اساس وعد بلفور، ويقوم مجلس تأسيسي من ارادة الأمة يضع دستوراً للبلاد يعين شكل الدولة وتقوم، بمقتضاه، حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي تنتخبه الأمة انتخاباً حراً»[٣٠].

هذه الثورة، التي كان قوامها جمهور الريف والمدن الساخط، مثلت ذروة الوعي بضرورة توجيه رأس الحربة الى «رأس البلاء» اي الى بريطانيا. وكان الاتجاه الى مصادمة بريطانيا قد تبلور، على نحو حاسم، في اوساط قطاعات هامة من قطاعات الحركة الوطنية، وعبر عنه الاجتماع الوطني الذي انعقد في نابلس. في نيسان (ابريل) ١٩٣٦ بمبادرة من حزب الاستقلال، حين نادى بضرورة ان «توجه القضية توجيها صحيحا، اي انه يجب ان تتجه المقاومة ضد الانجليز، اولا، باعتبـارهم اسـاس البلاء». وقد رأى الاجتماع «ان المسؤولية في ما وقع ويقع ملقاة على عاتق [الانجليز]، ولا يجوز ان تصرف القضية الى مقاومة الصهيونية وحدها»، وهو الاجتماع الذي صدرت منـه الدعوة الى الاضراب، وكان من نتائجه ان انسحب الاعضاء العرب من المجالس البلدية التي يشترك فيها عرب ويهود[٣١].

اذن، وكما يمكن القول، استجابت قيادة الحركة الوطنية لنوازع السخط الشعبي العام؛ الا ان هذا لم يعن انها تخلت، كلها، عن نهجها المساوم مع بريطانيا. والقيادة هي التي بادرت، من جانبها، الى الاتصال بالملوك والامراء العرب حاثة اياهم على التدخل. وقد انتهت الاتصالات، كما هو معروف، بتوجيه نداءات من الملوك والامراء تدعو اهل فلسطين الى وقف اضرابهم العام. وبـطبيعة الحال، استجابت القيادة الوطنية لهذه النداءات فور صدورها «لأن الامتثال لارادة اصحاب الجلالة والسمو الملكي ملوك العرب ورؤسائهم، والنزول على ارادتهم، من تقاليد العرب الموروثة»، ولأن القيادة الفلسطينية تعتقد جازمة «بأن اصحاب الجلالة والسمو لم يأمروا ابناءهم الا لما فيـه مصلحتهم»، ولأن هذه القيـادة تؤمن «بعـظم الفـائـدة التي تنجم عن توسـطهم ومؤازرتهم»، كما قال بيان اللجنة العربية العليا الذي صدر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦[٣٢].

واذا كانت هذه الاستجابة العاجلة قد اظهرت ان القيادة الوطنية ما تزال تؤمن بامكانية التفاهم مع بريطانيا، فانها قد تسترت، هذه المرة، بالمواقف العربية لكي تتفادى السخط الشعبي، مفقدة رفضها للمشروع الصهيوني احد اهم اسلحة مجابهته وهو سلاح الجماهير في مواجهة